حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٩ (عدد يوليو – سبتمبر ٢٠٢١)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

نظرية الأصل الأكدي / دراسة لغوية

حامد كاظم عباس*

كلية اللغات / جامعة بغداد/ وحدة سلامة اللغة العربية
Email: hamid.k@colang.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

اللغة الأكدية واحدة من أهم اللغات السامية لغوياً وحضارياً، وهناك قسم من الباحثين يرى أنّ الأكدّية هي (الأم الرؤوم) لمجموعة اللغات السامية، وعنها تفرّعت بقية لغات هذه المجموعة، وهذا البحث حاول تسليط الضوء على هذه المقولة وبيان ما لها وما عليها.

وقد أثبت البحث أنَّ العربية الفصحى والأكّدية ليستا (أصل وفرع) ولا (لغة وعاميتها) بل هما لهجتان من لهجات اللغة الأم، وإنّهما قريبتان من بعضهما، وأنَّ التشابه الجزئي بين اللغتين جاء بحكم القربى والانتماء إلى أصل لغوي قديم مشترك (اللغة الأم)، ومثلما هناك متشابهات بين اللغتين يوجد أيضاً اختلافات وبخاصةٍ في الجانب الصوتي.

الكلمات المفتاحية: (تكوّن اللغة العربية، اللغة الأكدية، ظاهرة التنوين والتمييم، التشابه الجزئي في القواعد)

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢١.

المقدمة:

اللغة بصفتها ظاهرة اجتماعية وثقافية لابدَّ أنْ تكون مثل بقية الظواهر الأخرى لها نشأة ومسيرة تاريخية وتطورات متنوعة وتأثر وتأثير، و(نظرية الأصل الأكدى) إحدى النظريات التي حاولت تفسير كفيية ظهور أو بروز العربية الفصحى، أو بقولٍ آخر من أين انحدرتْ هذه اللغة، وما الأصل الذي تطورت عنه، فهذه اللغة لم تلد ولم تنشأ من فراغ، وإنّما هي حصيلة طويلة من التجارب والمخاضات الفكرية واللغوية، وليس من المعقول أنْ تكون لغة الأدب الجاهلي مادة أولى تمثل طفولة العربية الفصحى؛ لأنَّ لغة الأدب الجاهلي لغة ناضجة بمستوياتها كافة، النحوية والصرفية والصوتية والدلالية، فهي تمثل مرحلة متطورة من مراحل تكوّنُ اللغة العربية الفصحى، وانطلاقاً من هذا الفهم حاول اللغويون تفسير كيفية تكوّن العربية الفصحى والكشف عن جذورها أو ينابيعها الأولى، وقد طُرِحت في هذه المسألة نظريات عدة، منها نظرية اللغة المشتركة ونظرية العود الإلهي... ومن هذه النظريات نظرية الأصل الأكدى التي ترى أنَّ اللغة الأكديّة هي ((الأم الرؤوم)) لمجموعة اللغات السامية، وعنها تفرغتْ بقية اللغات في هذه المجموعة، وعلى الرغم من اتفاقنا أو اختلافنا مع الآراء التي تُطرَح في شأن تكوّن وبروز العربية الفصحى، لكننا في الوقت نفسه نعتقد أنَّ الظاهرة اللغوية تشبه في الطبيعة الشكل المادي المحسوس، فإذا أردنا الإحاطة به علينا أنْ لا نكتفي في تسليط الضوء على جانب واحد من جوانبه، بل يجب أنْ نسلط الضوء على جميع جوانبه، ومن هذا المنطلق جاءت هذا الدراسة لتسليط الضوء على مقولة الأصل الأكدي، وبيان مالها وما عليها، وقد جعلت البحث في ثلاثة محاور وخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث، وقد جاءت محاور البحث على الشكل الآتي:

المحور الأول: القائلون بنظرية الأصل الأكدي (الدوافع والأسباب).

المحور الثاني: التنوين والتمييم بين العربية والأكديّة.

المحور الثالث: ظاهرة الإعراب والتشابه الجزئي في القواعد والضمائر.

منهج البحث: اتبعنا في هذه الدراسة المنهج اللغوي المقارن وبخاصة في الجانب النحوي والصوتي، وحاولنا من خلال ذلك الوقوف على مشكلة غموض طفولة العربية الفصحى وبيان العمق التاريخي لها. **الهدف:** من هذه الدراسة بيان ان العربية والأكدية ليستا أصل وفرع بل هما لهجتان من لهجات اللغة الأم.

الجديد في هذه الدراسة _ كما نعتقد _ هو تسليط الضوء على نظرية الأصل الأكدي وبيان نقاط الضعف فيها وتوكيد فكرة ان التشابه الجزئي بين العربية والأكدية انما جاء بحكم القربى والانتماء إلى أصل لغوي مشترك.

المحور الأول: القائلون بنظرية الأصل الأكدي(الدوافع والأسباب):

اللغة الأكدية من أهم اللغات السامية لغوياً وحضارياً، فضلاً عن أنّها أقدم لغةٍ سامية من حيث التدوين، وقد وصلت إلينا من خلال آلاف المدونات المسمارية، والأكّدية مصطلح يشمل البابلية والآشورية بفروعهما القديمة والوسيطة والمتأخرة، (ينظر: عامر سليمان، ٢٠٠٥م، ص٤٨، وخالد الأعظمي، ٢٠٠٦م، ص١٤٠)، وموطن هذه اللغة هو بلاد ما بين النهرين في العراق، فـ ((أكاد)) اسم المدينة التي بناها(سرجون) في الجزء الشمالي من أرض بابل سنة(٢٣٥٠) ق.م، لتكون عاصمة لدولته. (ينظر: رمضان عبد التواب، ١٩٩٩م، ص٢٦).

وقد ذهب قسم من الباحثين العرب والمستشرقين إلى أنّ اللغة الأكدية أقدم اللغات السامية(أو الجزرية)، وأنّ مجموعة هذه اللغات قد تفرعتْ عنها، وإلى هذا المعنى ذهب جرجي زيدان الذي كان يرى أنَّ موطن الأقوام السامية الأصلي هو بلاد ما بين النهرين، وأنّ لغتهم كانت واحدة هي الأكدية ثُمّ هاجروا بعد ذلك إلى جزيرة العرب هروباً من الحروب أو طلباً للرزق، وبمرور الأيام تنوعت لغتهم << وتفرعت تبعاً للقانون الإرتقاء، فتولدت اللغة العربية والأمة العربية، وهاجرت أخرى وأقامت في شمالي الجزيرة العربية فكانت العبرية، وقس على ذلك – كما يقول – بقية فروع هذه اللغات >> ،(جرجي زيدان، ١٩٨٢م، ص٣٩، وينظر: كاصد الزيدي، ١٩٨٧م، ص٧٠). وقد ذهب إلى هذا المعنى أيضاً المستشرق جويدي، وهويرى أنَّ الموطن الأصلي للأمم السامية كان في جنوب العراق، وقد ذكر عدداً من المفاهيم الجغرافية والنباتية والحيوانية، وقال إنَّ أول من استعملها هي أمم تلك المنطقة ثُم أخذها عنهم جميع الساميّن،(ينظر: ولفنسون، ١٩٨٠م، ص٤)، وعلى سبيل المثال كلمة (نهر) توجد بلفظ متشابه تقريباً في جميع هذه اللغات، في حين أنّ كلمة (جبل) تختلف في هذه اللغات، فهي في العربية (جبل) وفي العبرية (هر)، وفي الآرامية (طوَّرا)، وفي الأكّدية (شَدُ)، وبعد إنْ قام هذا المستشرق بالمقارنة بين الألفاظ الدالّة على الحيوان والنبات والتقلبات الجوية أثبت أنَّ عدداً كبيراً منها يشبه ما في اللغة الأكّدية، (ينظر: رمضان عبد التواب، ١٩٩٩م، ص٣٩-٤٠)، ولكن على الرغم من ذلك فإنَّ مقولة هذا المستشرق قد رُفضت من قبل اللغويين العرب والمستشرقين؛ لأنّ هناك مفردات يشترك فيها الساميون الشمالون والجنوبيون، وهي مع ذلك لا يجوز أنْ تكون قد نشأت في منطقة الفرات أو جنوب العراق،(ينظر: المصدر نفسه، ص٤٠)، ويرى نولدكه أنّه << من العبث أنْ نعتمد في اثبات حقيقة كهذه على جملة كلمات ليس ما يثبت لنا أنَّ جميع السامين أخذوها من أهل العراق >> ، (ولفنسون، ١٩٨٠م، ص٥)، ونعتقد أنّ قول نولدكه له ما يبرّره من الناحية العلمية؛ ذلك لأنَّ التشابه في بعض المفردات لا يشكل ركيزة يمكن الإعتماد عليها في تأكيد التقارب بين اللغات، لأنَّ تشابه المفردات يوجد في كثير من لغات العالم بسبب التأثر والتأثير عن طريق الحوار والاتصال وغيرها من وسائل الاتصال.

وهناك قسم من الباحثين يرى العكس تماماً، أي إنَّ الهجرة كانت وفي أزمان سحيقة من الجزيرة العربية باتجاه وادي الرافدين ومنطقة سوريا؛ ذلك أنَّ الجزيرة العربية كانت تختلف تمام الإختلاف عما هي عليه في الوقت الحاضر من حيث درجات الحرارة ووفرة المياه وخصوبة الأرض، وحصلت الهجرة من الجزيرة العربية باتجاه العراق وسوريا << تحت وطأة ظروف مناخية أدّتْ إلى الجدب والجفاف منذ نهاية العصور الجليدية>>، (خالد الأعظمي،٢٠٠٦م، ص١٤٠). وقد وجُدِت مجموعة من النقوش أطلق عليها الباحثون اسم (النقوش الكلدانية للعربية الأولى)، (ينظر: النقوش وترجمتها في: سعيد الغانمي، ٢٠٠٩م، ص٢٣٠-٢٣٥)، عثر عليها السير ليونارد وولي في الجزء الجنوبي من بلاد بابل وتحديداً في منطقة (أور)، ويعود تاريخها إلى القرنين التاسع والسابع(ق.م)، وقد

عُثر على أحدها تحت الأساس الذي وضعه الملك نبوخذ نصر الثاني لمعبد إي – ننماخ في أور، وعلى سبيل المثال فإنَّ أحد هذه النقوش تُرجِمت حروفه على هذه الصيغة: (ك ر س ن ف خ)

فالمقطع الأول هو (كرسو)، وهو اسم علم بابلي – آشوري، أما المقطع الثاني فيرى المستشرق أولبرايت أنّها (نفاخ)، أي حَداد، ومعنى العبارة: (كرسو الحداد)، (ينظر: المصدر نفسه، ص٢٣٢). ومن الناحية اللغوية فإن كلمة (نفاخ) أو (نافخ) أو (نفيخ) في العربية الفصحى كلها تأتي بمعنى الحداد الذي ينفخ في النار، جاء في اللسان: << ونفخ في النار وغيرها ينفخها نَفْخاً ونَفِيخا، والنفيخ: الموكل ينفخ النار... والمنفاخ: كير الحداد، والمنِفاخ: الذي ينفُخ به في النار>>، (ابن منظور، ٢٠٠٥م، ١٤/ص٣١٥). وهذا يعني أنَّ كاتب النقش عربي اللغة يحمل اسماً بابلياً، (ينظر: سعيد الغانمي، ٢٠٠٩م، ص٢٣٣)، ومن جهة أُخرى فإنَّ هذه النقوش تؤكد أنَّ العرب دخلوا بابل واحتكوا بها منذ بداية الألفية الأولى قبل الميلاد، ومع بدية القرنين الثامن والسابع(ق.م) << كان العرب قد بدأوا يستخدمون لغتهم العربية في الكتابة، بعد أنْ تفاعلت مع البابلية وأخذت منها ما كانت تحتاجه من مفردات حضرية لم تكن فيها >>، (المصدر نفسه، ص٢٣٤). وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بشأن الهجرة لكنها في كلتا الحالتين تؤكد التداخل الواضح بين العربية والأكّدية، وأنَّ هاتين اللغتين قريبتان من بعضهما، ومهما تباعد زمنهما ومكانهما فإنهما يدوران حول محور واحد نمتْ أُصوله في رحم الجزيرة العربية وترعرعت بين أحضان الرافدين وأطراف منطقة الشام، (ينظر: خالد الأعظمي، ٢٠٠٦م، ص١٤١).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هناك أسباباً أُخرى دفعت بعض الباحثين إلى قبول نظرية الأصل الأكّدي وترجيحها، وأهم هذه الأسباب هو قدم ظاهرة التمييم في الأكدية الذي هو نظير التنوين في العربية الفصحى، والتشابه الجزئي في القواعد والضمائر، فضلا عن وجود ظاهرة الإعراب بالحركات الثلاث كما هي الحال في العربية الفصحى، وسنفصل القول في هذه المسائل اللغوية – إذا شاءَ الله تعالى – ثُمّ نردُّ عليها في المحورين الثاني والثالث.

<u>المحور الثاني: التنوين والتمييم بين العربية والأكدية:</u>

التنوين في العربية الفصحى هو<< زيادة نون ساكنة لفظاً لا خطاً في آخر الاسم لغير التوكيد >>، (أميل بديع يعقوب، ١٩٨٣م، ص٢٧٥)، فالعربية الفصحى معربة، والإعراب – كما هو معروف – هو تغير حركة أواخر الكلمات، قال ابن السراج(ت٣١٦هـ): << الإعراب أنْ يتعاقب آخر الكلمة حركات ثلاث، ضم وفتح وكسر>>، (ابن السراج، ١٩٦٥، ص٧)، وإذا كانت الكلمة معّرفة بـ (ال) التعريف أو الإضافة فيكتفي بهذه الحركة (الضمة أو الفتحة أو الكسرة)، أمّا إذا كانت نكرة فلا بدَّ أنْ تتبعها النون، وهذا ما يسمى بتوين الضم أو الفتح أو الكسر. والتنوين في العربية الفصحى – كما يقول النحاة – علمُ التنكير، وهو يلحق بالمفرد وبجمع المؤنث السالم وجمع التكسير، أمّا جمع المذكر والمثنى فغياب أداة التعريف فيهما دليل تنكيرهما، (ينظر: ابن عقيل، ١٩٨٠م، ١/ص١٦-١٩، ود. رمزي منير بعلبكي، ١٩٩٩م، ص١٤٢)، يقول ابن جني(ت:٣٩٢ه): << إنَّ التضاد في هذه اللغة جار مجرى التضاد عند ذوي(الكلام)، فإذا ترادف الضدان في شيء منهما كان الحكم منهما للطارئ، فأزال الأول، وذلك كلام (أولام) التعريف إذا دخلت على المنون حُذِف لها؛ كرجلٍ والرجل، وغلامٍ والغلام، وذلك أنَّ اللام للتعريف، والتنوين من دلائل التنكير، فلما ترادفا على الكلمة تضادا، فكان الحكم لطارئهما وهو اللام >> ،(ابن جني، ٢٠٠١م، ص٦٧٤، ينظر: إبراهيم السامرائي، ١٩٨٧م، ص١٤٧)، وقال في موضع آخر: << التنوين علم التنكير والإضافة موضوعة للتعريف>>

،(ابن جني، ٢٠٠١م، ص٦٧٦). وإلى هذا المعنى ذهب إبراهيم مصطفى بقوله: << ومعنى التنوين غير خفي، فهو علامة للتنكير، وقد وضعت العرب للتعريف أداة تدخل أول الاسم، وهي(ال)، وجعلت للتنكير علامة تلحقه وهي التنوين >>، (إبراهيم مصطفى، ١٩٣٧م، ص١٦٥).

وعلى الرغم من إصرار النحويين على أنَّ التنوين علامة للتنكير ولكنهم في الوقت نفسه لم يقدموا لنا تفسيراً واضحاً عن سبب دخول التنوين على طائفة كبيرة من الأعلام في العربية الفصحى مثل: محمدٌ، عليٌ، زيدٌ...، << ولو كان التنوين مقيداً بالتنكير لكان من العسير علينا فهم الأعلام التي تقبل هذا التنوين، وهذه الطائفة من الأعلام هي أكثر الأعلام في العربية >>، (إبراهيم السامرائي، ١٩٨٧م، ص١٤٨). وحاول بعض الباحثين المعاصرين أن يقدم تفسيراً لذلك وهو إنّ في كل علم شيئاً من الشيوع، وإن كان أقل من شيوع النكرة << إذ كثيرون يسمَّون بمحمد وعليّ وغيرهما، فالتنوين في الأعلام للدلالة على هذا الشيوع النسبي >>، (رمضان عبد التواب، ١٩٩٧م، ص٢٤٨). وقد سبق إلى هذا المعنى ابن جني وذكر أنَّ التنوين دخل في الأعلام، كزيدٍ وبكر؛<< لأنّها ضارعت بألفاظها النكرات، إذ كان تعرّفها معنوياً لا لفظياً >> ،(ابن جني، ٢٠٠١م، ص٧٩٥)، ولكن هذا التفسير غير مقنع؛ لأنَّ قولنا: جاءَ محمدٌ أو ذهب عليٌّ، لا يحتمل الشيوع، ولهذا ذهب د. إبراهيم السامرائي إلى أنَّ التنوين هو مجرد أداة صوتية في آخر الكلمة ربّما قصد بها التنبيه والإشارة، ولذلك فإنّنا << لا نستطيع الجمع بين(ال)، والتنوين في كلمة واحدة؛ لأنّهما يدلان على شيء واحد، ولأنَّ طبيعة الكلمة العربية أو وحدتها الصوتية لا تسمح بالجمع بينهما في لفظ واحد >> ،(إبراهيم السامرائي، ١٩٨٧، ص١٥٠). وهذا القول لا يخلو من منطقية في التفسير وبخاصة إذا علمنا أنَّ(التمييم) في اللغة الأكدية الذي هو نظير التنوين في العربية الفصحى يدخل على المعرفة والنكرة على حدٍ سواء، (ينظر: رمزي منير بعلبكي، ١٩٩٩م، ص١٤٢)، وفي الوقت نفسه فإنَّ هذا التفسير يقدم سبباً مقنعاً لدخول التنوين على طائفة كبيرة من الأعلام في العربية الفصحى.

أمّا التمييم فهو عبارة عن(ميم) زائدة تأتي في آخر الكلمة، وهو من السمات الأساسية للغة الأكدية، ويقابل التنوين في العربية الفصحى، وقد بقيّ التمييم ملازماً للأكدية القديمة طوال إلفي سنة مثلما بقيّ التنوين ملازماً للعربية الفصحى إلى الآن، (عامر سليمان، ٢٠٠٥م، ٢٠٧)، ومن أمثلة التمييم في الأكدية، (ينظر: المصدر نفسه، ص١٩٥-٢٠٥، ومحمد المختار العرباوي، ٢٠٠٦م، ص٤٠-٤١):

بيتُم	bitum	بيتٌ
كلبُم	kalbum	كلبٌ
شَرَّتُم	sarratum	ملكةٌ
وردُم	waraum	عبدٌ
ماتُم	matum	بلادٌ
صَلمُم	salmum	تمثالٌ
اينُم	inum	عينٌ

ويلحظ هنا أنَّ التمييم في الأكدية يدخل على المفرد المذكر والمفرد المؤنث والصفة والجمع المؤنث سواء أكانت الكلمة معرفة أم نكرة، (ينظر: عامر سليمان، ٢٠٠٥م، ص٢٠٤-٢٠٥، ورمزي منير بعلبكي، ١٩٩٩م، ص١٤٢)، علماً أنّه ليس في الأكّديّة أداة

خاصة لتعريف الأسماء وإنّما كانت الكلمة تميز من سياق الكلام، (ينظر: خالد إسماعيل، ٢٠٠٠م، ص٢٧١)، ويمكن أيضاً تعريف الأسم في الأكدية باضافته إلى اسم أو ضمير يكون عادة في حالة الجر وهذا ما يسمى في العربية الفصحى بالتعريف بالإضافة مثل، (ينظر: عامر سليمان، ٢٠٠٥م، ص٢٠٤):

شَرماتِم sarmatim ملك البلاد

وقد ذهب عدد كبير من الباحثين العرب أو المستشرقين إلى أنَّ (التمييم) أقدم من التنوين، وأنَّ الميم هي التي كانت شائعة في الاستعمال، وأنَّ التمييم في الأكدية بفرعيها البابلية والآشورية تطوّر إلى (التنوين) في العربية الفصحى، (ينظر: رمضان عبد التواب، ١٩٩٧م، ص٢٤٩، ومحمد المختار العرباوي، ٢٠٠٦م، ص١٥)، وذلك اعتماداً على شيئين:

(الأول): قدم الوثائق الأكدية التي وردت بها هذه الظاهرة(التمييم)، ومن أهم النصوص الأكدية التي حافظت على استعمال التمييم هو قانون حمورابي(١٧٩٢ق.م)، (ينظر: عامر سليمان، ٢٠٠٥م، ص٢٠١، ورمضان عبد التواب، ١٩٩٩، ص٣٨٣).

(والثاني): وجود بقايا للتمييم في العربية الفصحى، وقد جمع السيوطي(ت:٩١١هـ) ما يقارب ثلاثين كلمة من الألفاظ التي تنتهي بصوت الميم الزائدة في باب (ذكر الألفاظ التي زادوا في آخرها الميم)، (السيوطي، ٢٠٠٩م، ٢/ص١٩٧)، وجمع باحث معاصر أكثر من خمسين كلمة، (ينظر: محمد المختار العرباوي، ٢٠٠٦، ص٤٠-٤١)، ومنها على سبيل المثال:

- زرقم: شديد الزرقة -حلكم: شديد السواد
- خضرم: شديد الخضرة -صلدم: الصلد
- فسحم: الواسع الصدر -شبرم: قصير القامة
- قشعم: المسن من الإنسان والحيوان.

وعلى الرغم من أنَّ علماء اللغة القدامى قد انتبهوا على وجود هذه الألفاظ إلا إنَّ عدم معرفتهم باللغات السامية الأقدم مثل الأكدية بفرعيّها البابلية والآشورية والكنعانية جعلهم لا يهتدون إلى حقيقتها؛ ولذا فسروها بما يتوافق مع نظام القواعد في العربية الفصحى، أي إنَّ زيادة المبنى يستوجب زيادة المعنى << لأنَّ قوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى >> ،(ابن يعيش النحوي، ١٩٨٨، ٩/ص١٥٤)، وفي هذا المعنى يقول الثعالبي(ت٤٢٩هـ): << الميم تزاد... في آخر الأسماء للمبالغة كما زيدت في زرقم وشدقم >> ،(الثعالبي، ٢٠٠٩م، ص٢٥٦، وينظر: السيوطي، ٢٠٠٩م، ٢/ص١٩٧).

وقد وجد الباحثون – الذين يعتقدون أنَّ اللغة الأكّدية هي اللغة الأقدم في مجموعة اللغات السامية، وأنَّ اللغات الأخرى في هذه المجموعة قد تفرعت عنها – في قدم ظاهرة التمييم دليلاً آخر يعزز هذه المقولة؛ وذلك لأنَّ قدم الظاهرة اللغوية في اللغة يستوجب قدم اللغة ذاتها، فالإرث اللغوي السامي – كما يرى أحدهم – << قد استحوذت عليه اللغة الأكّدية لقدمها واقتراب زمنها من زمن اللغة الأم أكثر من غيرها، وقد حافظت عليه تلك اللغة بسبب آلاف المدونات المسمارية التي لم تبلغها أي لغة في العالم، أو أية لهجة من لهجات اللغة الأم.... >>، (خالد الأعظمي، ٢٠٠٦م، ص١٤١)، أو بقول آخر إنَّ اللغة الأكدية << هي بالنسبة للسامية الأصلية بمثابة السنسكريتية بالنسبة للآرية الأصلية >>، (ولفنسون، ١٩٨٠م، ص٧).

وفي مورد الرد على هذه المقولة- أي أنَّ التمييم أقدم من التنوين – فنحن نفترض أنَّ ظاهرة التنوين هي الأخرى متجذرة في العربية الفصحى حالها في هذا الشأن حال التمييم في اللغة الأكدية، أو بقول آخر إنَّ بعض اللغات السامية غلب عليها التنوين وبعضها الآخر غلب عليها التمييم؛ وذلك بحسب الدواعي الصوتية لكل لغة، وإنَّ عدم إمتلاكنا وثائق قديمة تثبت قدم التنوين في الفصحى هو بسبب ضياع الكثير من تراثنا اللغوي، وهذا ما ذكرهُ ابن فارس(ت٣٩٥هـ) في كتابه الصاحبي، قال: << ذهب علماؤنا أو أكثرهم إلى أنَّ الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل >> ،(ابن فارس، ٢٠٠٥م، ص٦٣). أمّا مسألة وجود مجموعة من الألفاظ في العربية الفصحى تتضح فيها هذه الظاهرة اللغوية فهذا لا يعني مطلقاً أنَّ التنوين متطور عن التمييم؛ لأنّه يجوز أنْ تكون هذه الظاهرة دخلت إلى هذه المفردات في العربية الفصحى بحكم التأثر والتأثير، ولا سيما إنَّ ظاهرة التمييم موجودة في العربيات الجنوبية بكثرة وبخاصة في أسماء الأعلام والسلالات والمواضع،(ينظر: محمد المختار العرباوي، ٢٠٠٦م، ص٤١)، ومن أمثلة أسماء الأعلام التي تتضح فيها هذه الظاهرة قولهم: أسدم، وكعبم، وكليبم، وبكرم، ومن أسماء السلالات: مذ حجم، وحميرم، ومن أسماء المواضع: مسندم(شبة جزيرة في سلطنة عمان)، وسيفهم(وادٍ سلطنة عمان)، وقد أشار إلى هذا المعنى المستشرق رابين Rabin وذكر أن التمييم <<هو نظير التنوين في العربية الفصحى ويوجد في العبرية وسواها من الساميات >> ،(رابين، ١٩٨٦م، ص٧٥).

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ العربية الفصحى لغة متجذرة في القدم، وأنَّ كمالها اللغوي – كما هي الحال في القرآن الكريم والشعر الجاهلي – يمثل قمة النضج اللغوي في المستويات كافة، النحوية والصوتية والصرفية والدلالية، أو بقول آخر إنَّ العربية الفصحى المتمثلة في لغة القرآن الكريم والشعر الجاهلي والتي لا يتجاوز عمرها(٢٠٠) سنة قبل الإسلام بحسب مقولة الجاحظ(ت٢٥٥هـ) المشهورة،(ينظر: الجاحظ، بلا تاريخ، ص١/ ص٧٤)، هي لغة عالية مرتْ عليها مراحل طويلة وتقلبات كثيرة حتى انتهت على هذا الشكل من الكمال اللغوي، وهي متطورة عن أصل قديم يضارع الأكدية أو هو أقدم منها،(ينظر: رابين، ١٩٨٦م، ص٢٤)، ومن الطبيعي أنْ تتعرض هذه اللغة بصفتها لغة عريقة في القدم إلى مبدأ التأثر والتأثير بين اللغات << وهذا ما جعل تراثها غزيراً متضمناً لكثير من الظاهرات اللغوية القديمة، ومن بينها ظاهرة التمييم >> ،(محمد المختار العرباوي، ٢٠٠٦م، ص٤١)، ولو كانت ظاهرة التنوين في العربية الفصحى متطورة فعلاً عن ظاهرة التمييم لوجدنا بقايا هذه الظاهرة في ألفاظ كثيرة جداً بالقياس إلى حجم المفردات اللغوية في العربية الفصحى، فالألفاظ الثلاثون أو الخمسون الموجودة في الفصحى التي احتفظت بصوت الميم الزائد (التمييم)، لا تشكل ركيزة يمكن الاعتماد عليها في تقرير حقيقة الانتقال الصوتي من التمييم إلى التنوين.

وهناك مسألة أُخرى تجدر الإشارة إليها وهي إنَّ التطور الصوتي في اللغات- عادة – لا يكون إعتباطاً، وإنّما يأتي لدواعٍ صوتية، ومن أهم هذه الدواعي الصوتية ما يعُرف بـ (قانون الجهد الأدنى) Law of Least effort ، وهو مبدأ لغوي عام << أي نزعة اللغات عامة إلى اختصار الجهد العضلي في النطق >> ،(رمزي منير بعلبكي، ١٩٩٩م، ص٤١)، ويتضح هذا الشيء في العربية الفصحى – على سبيل المثال – في عملية التخلص من الهمز في البيئات الحضرية القديمة (قريش وما جاورها)، ويسمى بـ (تسهيل الهمز)، قال ابن منظور(ت٧١١هـ): << والنبر همز الحرف ولم تكن قريش تهمز في كلامها>> ،(ابن منظور، ٢٠٠٥م، ١٤، ص١٧٥)، في حين أنَّ البيئة اليدوية(تميم وما

جاورها) كانت تحقق الهمز، قال أبو حاتم السجستاني(ت٢٥٥هـ): << نزفتْ العبرة وأنزفت، لغتان معروفتان، وتميم تقول: أنزفت العبرة، وهي منزفة >> ،(أبو حاتم السجستاني، ١٩٧٩م، ص١٠٣، وينظر: كاصد الزيدي، ١٩٨٧م، ص٢١٠). وسبب التخلص من الهمز أنَّ الهمزة تعدُّ من أكثر الأصوات شدة << وعلمية النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية؛ لأنَّ مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها، ثُم تنفتح فجأة فنسمع ذلك الصوت الإنفجاري الذي نسميه بالهمزة المحققة >>، (إبراهيم أنيس، ٢٠٠٣م، ص٦٨)؛ ولذلك مالت اللهجات العربية إلى التخلص منها، ويتم التخلص من الهمز إمّا بحذفه أو بقلبه إلى حرف من حروف اللين الثلاثة: الألف أو الواو أو الياء، نحو: ذئب-ذيب، أنكر-نِكر، أوفى-وفى.

وإذا حاولنا تفسير الانتقال الصوتي من الميم إلى النون، أي من التمييم إلى التنوين في ضوء قانون الجهد الأدنى لا نجد مبررات أو دواعي صوتية تستوجب هذا التطور الصوتي؛ لأنّ صوت الميم << تميّز بنطقه الذي لا يحتاج إلى جهد، فضلاً عن ذلك أنّه صوت أغن ويمتاز بأنّه صوت له دلالته >>، (ولاء صادق، ٢٠١٧م، ص١٤١). وقد وصفه الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، بأنّه مطبق؛ وذلك لأنطباق الفم حين النطق به، وأنَّ الميم صوت أغن بدليل أنّه يخرج من الخشيوم(الأنف)، (ينظر: الفراهيدي، ١٩٨٠م، ١/ص٥٨، وسيبويه، دون تاريخ، ٢/ص٤٠٥). وعلى نهج القدماء سار المحدثون في عدّ هذا الصوت من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، أو ما يطلق عليها << الأصوات المائعةLiquids >>، (إبراهيم أنيس، ١٩٧٩م، ص٤٥). أمّا صوت النون فهو الآخر من الأصوات السهلة التي << أطمأنت العربية الفصحى إلى السكوت عليها والانقطاع عن الصوت عندها >>، (إبراهيم السامرائي، ١٩٨٧م، ص١٣٩)، وهو صوت محبب في اللغات كلها ومن الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، أو ما يُطلق عليه بـ (الصوت المانع)، (ينظر: سيبويه، دون تاريخ، ٢/٤٠٥)، وتشارك النون الميم في أنهما قد يشترك الفم والخياشم في إخراجهما فتصير فيهما غنة، (ينظر: فندريس، ٢٠١٤م، ص٥٥).

وفي كثير من الأحيان يتبع صوت الميم النون في الفواصل والسجع، أو يتبع صوت النون الميم من دون اختلال في النغم، ويمكن ملاحظة ذلك في النصوص القرآنية وفي كلام العرب مثل قوله تعالى:

((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)) << سورة الفاتحة، آية ١-٦ >>.

((كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ .لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ . ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ .)) ، << سورة التكاثر، آية ٥-٨ >> .

ومن ذلك أيضاً ما نجده في إحدى خطب الإمام علي (عليه السلام)، (على ابن ابي طالب، شرح محمد عبده، ٢٠٠٧م، ص١٠٣):

<< الحمدُلله الذي لم يَسْبِقْ له حالٌ حالاً... لم يَخْلُقْ ما خَلَقَهُ لتشديدِ سُلطانٍ، ولا تَخَوُّفٍ من عواقبِ زمانٍ... بل قَضَاءٌ مُتْقَنٌ، وعِلمٌ مُحْكَمٌ، وأمْرٌ مُبْرَمٌ. المأمُول مع النّقَم والمرهوبُ مع النِّعم>>.

وهذا يعني أنَّ صوت النون لا يأتي بديلاً عن صوت الميم، بل إنّهما من الأصوات السهلة الشائعة الإنتشار في العربية الفصحى، وهذا الكلام يقودنا إلى القول إنَّ التنوين من الظواهر اللغوية المتجذرة في العربية الفصحى وليس متطوراً عن التمييم، وإنَّ التنوين في

العربيـة الفصـحى والتميـيم فـي الأكّديـة << يعـودان إلـى الأصـل نفسـه، وقـد أنجبهمـا الـرحم السامي القديم نفسه >>، (سعيد الغانمي، ٢٠٠٩م، ص٢٠٥).

المحور الثالث: ظاهرة الإعراب والتشابه الجزئي في القواعد والضمائر:

الإعـراب-كمـا هـو معلـوم-سـامي الأصـل، وتعـدُّ هـذه الظـاهرة مـن أقـوى ميـزات وخصائص العربية الفصحى، وهي من صفات العربية الموغلة في القدم، في حين إنَّ سـائر اللغات السامية – عدا الأكّدية-قد فقدت الإعراب منذ أقدم العصـور، وفـي هـذا المعنـى يقـول المستشرق براجشتراسر: << والإعراب سامي الأصل، تشترك فيـه اللغـة الأكاديـة، وفـي بعضه الحبشية، ونجد آثاراً منه في غيرها أيضاً >>، (براجشتراسر، ١٩٨٢م، ص١١٦). فالأكديـة – إذن- تشـبه العربيـة الفصـحى مـن حيـث احتفاظهـا بحركاتهـا الإعرابيـة الـثلاث، وجميع الأسماء في اللغة الأكدية معربة تنتهي بصوت الـواو والمـيم فـي حالـة الرفـع(um)، وصـوت الفتحـة والمـيم(am) فـي حالـة النصـب، وصـوت الكسـرة والمـيم(im) فـي حالـة الجر،(ينظر: خالد الأعظمـي، ٢٠٠٦م، ص١٤٣، وإبراهيم السامرائي، ١٩٨١م، ص٥٢)، وتظهـر هـذه الحركـات كاملـة فـي قـانون حمورابي(١٧٩٢ -١٧٥١ق.م) المكتـوب باللغـة البابلية القديمة، وفيه نجد أنّ الفاعل مرفوع بالضـمة والمفعول بـه منصـوب بالفتحـة، والجـر علامته الكسرة، ويتضح ذلك- على سبيل المثال- في هذه العبـارة المنقولـة مـن هـذا القـانون: Summa awelum awelam ubbirma أي: (إذا اتهم إنسـانٌ إنسـاناً)، << ففـي هـذه العبارة نجد(awelum) الإولى بمعنـى إنسـان فـي حالـة الفاعل وهـي مرفوعـة بالضـمة، أمـا الميم الأخيرة فهي في الأكادية تقابل التنوين في اللغة العربية، وawelam الثانيـة فـي حالـة المفعول، وهي منصوبة بالفتحة وبعدها التميم كذلك >> ،(رمضـان عبدالتواب، ١٩٩٩م، ٣٨٣). وزيـادة علـى ذلـك هنـاك تطـابق فـي قواعـد التثنيـة بـين العربيـة الفصـحى والأكديّـة، فيرفع الاسم في الأكدية بصوت الألف والنون وينصب باليـاء والنـون مثل:(عينـان –عينـين) في العربية يقابله في الأكديّة: (اينان enan– اينين enin)، و(أذنـان – أذينن) فـي العربيـة يقابلـه فـي الأكديّـة: (ازنـانuznan-ازنـين uznen)، (ينظـر: خالـد الأعظمـي، ٢٠٠٦م، ص١٤٤). وهناك أيضاً تشابه في قواعد الجمع، فالجمع في الأكديّة هو مـا دلّ علـى ثلاثـة فـأكثر – كمـا هـي الحـال فـي العربيـة-وهـو علـى أنـواع، جمـع مـذكر وجمـع مؤنـث، وجمـع المذكر يشبه جمع المذكر السالم في العربية؛ لأنَّه يعتمد في صياغته زيـادة معينـة فـي آخـر الاسم المفرد، وتتمثل هذه الزيادة في مد حركـة الإعـراب لتصبح واواً فـي حالـة الرفـع ويـاءً فـي حـالتي النصـب والجـر، وتجريـد الاسـم مـن حـرف التمـيم إنْ وجـد مثـل، (ينظـر: عـامر سليمان، ٢٠٠٥م، ص٢٠٢):

شرمُ(sarrum) ملك ⟵ شَرّو(sarru) ملوك في حالة الرفع.

شَرَّم (sarram) ملك ⟵ شَرّي (sari) ملوك في حالة النصب.

شَرَّم (sarrim) ملك ⟵ شَرّي (sarri) ملوك في حالة الجر.

أما جمع المؤنث في الأكديّة فهو يشبه تماماً قاعدة جمع المؤنث السالم فـي العربيـة، وذلك بأضافة ألف وتاء زائدتين إلى الاسم تلحقها حركة الضمة في حالة الرفع، والكسرة في حالتي النصب والجر، مع الاحتفاظ بحرف التمييم(م) في نهاية الجمع مثل، (ينظر: المصـدر نفسه، ص٢٠٢):

شَرُّم (sarrum) (ملكٌ) المفرد المذكر

شَرَتُّم (sarratum) المفرد المؤنث

شَرّاتُم (sarratam) جمع مؤنث مرفوع

شَرّاتِم (sarratim) جمع مؤنث في حالتي النصب والجر.

ونجد في حقل الضمائر مجموعة من الكلمات المتشابهة وربما متطابقة بين الأكديّة والعربية، << فالضمائر في اللغة الأكديّة شبيهة جداً بالضمائر في اللغة العربية من حيث النوع والحالة والشكل، وأنْ كان هناك بعض الإختلافات اليسيرة >>، (المصدر نفسه، ص ٢٢٣)، فالضمير(أنا) في العربية يقابله (أناكُ-anaku) في الأكديّة، والضمير(أنتم) يقابلة (إتُّنُ – attune) في الأكديّة، والضمير(أنْتَ) يقابله (آتَّ-atta) في الأكديّة، (ينظر: خالد الأعظمي، ٢٠٠٦م، ص١٤٢-١٤٣).

وفي مورد الرد على هذه الإشكالات لا بدَّ من القول إن ظاهرة الإعراب من أقوى خصائص العربية، بل سرّ جمالها، وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزلل، وهذه الظاهرة – كما ذكرنا – سامية الأصل، وقد فُقدت في بقيّة اللغات السامية كلها تقريباً، فتجردت منها الآرامية ولهجتها السريانية، وصارت ضئيلة في العبرية القديمة والأكدّية، ذلك أنَّ الأكدية بدأت بثلاث حركات ثُمَّ أختصرت بعد ذلك إلى اثنتين هما الضمة والكسرة، وأخيراً صارت حركة واحدة هي الكسرة،(ينظر: كاصد الزيدي، ١٩٨٧م، ص١٢٩)، وفي هذا المعنى يذكر د. عامر سليمان أنَّ الحُقب المبكرة في حياة اللغة الأكدية ولا سيما حقبة العصر البابلي القديم(٢٠٠٠- ١٦٠٠ ق.م) حافظت اللغة الأكّدية على القواعد والضوابط اللغوية الأصيلة، ويمكن عدُّ هذه الحقبة قمة ما وصلت إليه اللغة الأكدية، ولكن- وعلى العكس من ذلك – نجد في الحُقب المتأخرة << الميل نحو تبسيط القواعد والتجرد من علامات الإعراب وعدم الإلتزام بالضوابط اللغوية الأصيلة حتى عند التدوين إلى درجة فقدت بعض النصوص المتأخرة الكثير من القواعد والظواهر اللغوية كالتمييم وحركات الإعراب >> ،(عامر سليمان، ٢٠٠٥م، ص١٨٤). ومقابل ذلك نجد أنَّ العربية الفصحى احتفظت بحركاتها كاملة على أواخر كلماتها، وهذا ما جعل كثيراً من علماء اللغات اليوم يرون أنَّ العربية أقدم اللغات السامية وذلك لبقاء عنصر الإعراب فيها، وفي هذا المعنى يقول المستشرق (يوهان فك): << قد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابي، بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية-باستثناء البابلية القديمة >>، (يوهان فك، ١٩٥١م، ص١٥، وينظر: رمضان عبد التواب، ١٩٩٩م، ص٣٨٢). أما مسألة وجود كثير من المفردات المشتركة بين العربية والأكدية، فضلاً عن التشابه الجزئي في القواعد والضمائر، فنحن لا ننكر ذلك، وهو أمر يدعم النظرية التي تفيد بأنَّ هناك تقارباً لغوياً واضحاً بينهما، ولكن هذا لا يعني أنَّ العربية تفرعت عن الأكديّة، بل إنّ هذه المتشابهات جاءت بحكم القربى والإنتماء إلى أصل لغوي قديم مشترك(اللغة الأم)، وقد أجمع الباحثون على أنَّ صلات القرابة بين مجموعة اللغات السامية أقوى من الصلات التي توجد في المجموعات الأخرى؛ وذلك بسبب وحدة مجالها الجغرافي، (ينظر: محمد المختار العرباوي، ٢٠٠٦م، ص١٥)، وذكروا جملة من الخصائص المشتركة لهذه اللغات ولعل أهمها:

١. أغلب الكلمات فيها ذات جذر ثلاثي، أي إنّ المعنى الأساسي للكلمة يرتبط بعدد من الصوامت التي تشكل جذرا، أي مادة لغوية تحمل ذلك المعنى، وإنّ المعنى الخاص

تؤديه الصوائت، وعلى سبيل المثال فإن توالي الكاف والتاء والباء (ك. ت. ب) يكوّن جذراً افتراضياً لا حقيقة له إلا في ذهن أبناء اللغة، أما الذي يحدد المعنى الدقيق فهي الصوائت، كأن نقول: كَتَبَ، كُتِبَ، كَتَبْتُ...، (ينظر: رمزي منير بعلبكي، ١٩٩٩م، ص٤٤).

٢. التشابه في الألفاظ التي لها علاقة بالإنسان والقرابة والمحيط.

٣. التشابه في الضمائر وفي علاقاتها بالأسماء والأفعال.

٤. وجود جنسين هما المذكر والمؤنث، ويفرق بينهما-غالباً – بإضافة تاء إلى المؤنث، (ينظر: محمد المختار العرباوي، ٢٠٠٦م، ص٣٠).

ومن جانب آخر نجد هناك اختلافات بين العربية والأكديّة -وبخاصة في المستوى الصوتي-، ويفترض الباحثون أنّ في اللغة السامية الأم مجموعة أصوات حلقية هي الهمزة والهاء والحاء والخاء والعين والغين، وهذه الأصوات ذات قيمة فونيمية، وعلى سبيل المثال أنّ الهمزة في العربية فونيم مستقل كما يتضح في الفرق بين (أتى وفتى)، (وسأل وسَدَلَ)، وبعبارة أُخرى أنَّ صوت الهمزة ذو قيمة دلالية في العربية؛ لأنّه يُحدث تغيراً في دلالة الكلمة، (ينظر: رمزي منير بعلبكي، ١٩٩٩م، ص٤١). وقد احتفظت العربية الفصحى بالأصوات الحلقية كاملة، وبالمقابل فإنَّ الأكديّة فقدت معظم هذه الأصوات ولم تبق إلا الهمزة والخاء، فالهمزة في الأكدية تقابل الهمزة والهاء والعين والحاء والغين في السامية الأم، (ينظر: المصدر نفسه، ٤١). والشيء نفسه يُقال عن أصوات الأطباق، وهي مجموعة أصوات تتكون من الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف، وهذه الأصوات هي الأخرى موجود كاملة في العربية الفصحى في حين أنَّ الأكديّة فقدت الضاد والظاء، فالصاد في الأكديّة تقابل الصاد والظاء والضاد في العربية، (ينظر: عامر سليمان، ٢٠٠٥م، ص١٨٦-١٨٧).

ويرى بعض الدارسين أنّ الأكديين عزفوا عن هذه الأصوات فأسقطوها عن الاستعمال متأثرين في ذلك بالسومرية التي لا وجود لهذه الأصوات فيها، أي بسبب استخدام الكتابة المسمارية لتدوين اللغة الأكديّة، وهذه الكتابة << تخلو من العلامات المعبرة عن الأصوات الحلقية والأصوات المفخمة التي كانت تزخر بها اللغة الأكديّة >>، (المصدر نفسه، ص١٨٦). ويبدو لنا ضعف هذا القول بسبب عدم وجود مثل هذه الأصوات في قسم من اللغات السامية الأخرى، فالآرامية والكنعانية تفتقران إلى صوتي الغين والخاء، وتفتقر العبرية إلى صوتي الضاد والظاء، وصارت الصاد في العبرية تقابل الصاد والضاد والظاء، فـ (صرخ) في العربية يقابلها(Sarah) في العبرية، و(ضأن) في العربية يقابلها(Son) في العبرية، و(ظِل) في العربية يقابلها(Sel) في العبرية، (ينظر: رمزي منير بعلبكي، ١٩٩٩م، ص٤٢). وإذا كنا نفسر غياب هذه الأصوات في الأكديّة بسبب استخدام الكتابة المسمارية فبماذا نفسر عدم وجود هذه الأصوات في اللغات الأخرى؟ ولعل التفسير الأصح لظاهرة غياب هذه الأصوات في الأكديّة هو إنّها غير موجودة منذ البداية، << أي إنّ الطاقة الصوتية لدى كثير من الجماعات لم تتهيأ لها بعدُ الدواعي المؤدية إلى التوسع في المخارج وولادة هذه الأصوات... ثُم إنّ عزلة القبائل عن بعضها يجعل لكل منها مسارها الخاص في تطور الأصوات >>، (محمد المختار العرباوي، ٢٠٠٦م، ص٣٦)، وكان هذا مدعاة لظهور هذه الأصوات بدرجات متفاوتة في مجموعة اللغات السامية.

ونحن هنا نريد من عرض هذه الاختلافات والمتشابهات توكيد فكرة أن التشابه الجزئي بين العربية والأكديّة جاء بحكم الإنتماء إلى أصل لغوي واحد مشترك << وما الأكديّة والعربية

إلا لهجتان من لهجات اللغة الأم باعد بينهما عاملا الزمان والمكان >>، (خالد الأعظمي، ٢٠٠٦م، ص١٤١). ويبدو أنّ هناك نوعاً من الاتفاق بين الباحثين على أنَّ العربية والأكديّة هما أقرب اللغات السامية إلى اللغة الأم؛ لوجود خاصية الإعراب فيهما،(ينظر: ولفنسون، ١٩٨٠م، ص٧)، ولهذا قالوا إنَّ وجود أيّة ظاهرة لغوية في الأكديّة والعربية دليل على كون هذه الظاهرة موروثة عن اللغة الأم،(د. محمود فهمي حجازي، دون تاريخ، ص١٥٦)، ولكن لا بدَّ من القول إنَّ القرابة التي نبحث عنها هي قرابة نسبية، أي إنَّنا نبحث عن عناصر وظواهر لغوية أقدم من غيرها؛ لأنّه من الصعب أنْ نتخيل ما كانت عليه اللغة الأم السامية ومقدار كلماتها،<< بل من العيث إطالة البحث في أمر غامض مجهول نشأ ونما في عصور سبقت العصور التاريخية >> ،(ولفنسون، ١٩٨٠م، ص٤)، فالقصد – إذن – من افتراض وجود أصل مشترك لمجموعة اللغات السامية(اللغة الأم) ليس من أجل تقرير واقع لغوي سابق، بل لغرض اكتشاف الخصائص المشتركة بين مجموعة هذه اللغات << تسهيلاً لمعرفة التطور الذي سلكه كل منها صوتياً وصرفياً ونحوياً >>، (رمزي منير بعلبكي، ١٩٩٩م، ص٢٦). وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الأكديّة والعربية ليستا أصل وفرع ولا << لغة وعاميتها >> ،(مهدي حارت الغانمي، ٢٠٠٩م، ص٥٢)، بل هما لهجتان من لهجات اللغة الأم وإنهما قريبتان من بعضهما، وإنَّ الاختلاف بينهما- في ذلك الوقت- لم يتسع إلى الحدّ الذي يبدو عليه في وقتنا هذا، ولعنا نجد في شواهد التاريخ ما يعزز هذه الفكرة؛ ذلك أنَّ التفاهم بين أهل ذلك الحيز السامي كان ممكناً جداً في ذلك الوقت،(ينظر: أحمد سوسة، ١٩٨٠م، ص٥١٦)، وهو ما يفسر لنا عدم الإغتراب اللغوي في رحلات نبي الله إبراهيم (عليه السلام) انطلاقاً من أور ومروراً بنينوى ثُم مصر، وبعدها حوران، ثُم صوب الكعبة في الجزيرة العربية. وهناك حادثة تأريخية أخرى تؤكد هذا الشيء، ونعني بها الحملة العسكرية التي قام بها آخر ملوك بابل الملك نبونيد (٥٥٦-٥٣٩ ق.م)، فبحسب المصادر التاريخية،(ينظر: جواد علي، ١٩٧٣م، ١/ص٦٠٩)، إنَّ هذا الملك أحدث تغييرات في الشعائر الدينية، وأهتم بعبادة إله القمر(سين)، وواجه ضغوطات كبيرة من كهنة(مردوك) في بابل، ولذلك أراد نقل عاصمة ملكه إلى تيماء في الجزيرة العربية موطن العرب الثموديين؛ لأنَّ هؤلاء كانوا يدينون بعبادة إله القمر، فجهز حملة عسكرية وأحتل تيما (تيماء)، وأدوموا(دومة الجندل)، وبداكوا (فدك)، وخيبيارو (خبير)، ويتربيو(يثرب)، ثُم استقر في تيماء التي جعلها عاصمة ملكه بدلاً من بابل لمدة عشر سنوات، أي حتى سقوط بابل عام(٥٣٩ ق.م)، والشيء الذي يلفت النظر في هذه الحملة أنّ النقوش المكتشفة في شمال الحجاز تدلُّ على أنَّ الملك البابلي نبونيد وجيشه لم يواجه أي اغتراب لغوي، وقد وُجد نقش عربي لحياني يصف كاتبه نفسه بأنّه صديق الملك نبونيد، (ينظر: سعيد الغانمي، ٢٠٠٩م، ص٢٣٤)، وهذا يعني أنَّ اللهجة الثمودية التي كانت سائدة في تيماء – وهي إحدى لغات العربية الشمالية وقريبة من العربية الفصحى- كانت قريبة من اللغة الأكديّة بحيث يصحُّ التفاهم بين أبناء هاتين اللغتين، وهذا بدوره يؤكد أن العربية والأكديّة لهجتان قريبتان من بعضهما وينتميان إلى أصل لغوي واحد.

خاتمه البحث ونتائجه:

في ضوء ما تقدم يمكن أنْ نشير إلى أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١. اللغة الأكديّة واحدة من أهم اللغات السامية وأقدمها من حيث التدوين، وإنّ المعطيات التاريخية واللغوية تؤكد التداخل الواضح بين العربية الفصحى والأكديّة، وإنَّ هاتين اللغتين قريبتان من بعضهما، ومهما تباعد زمانهما او مكانهما فإنهما يدوران حول

محور واحد نمتْ أصوله في رحم الجزيرة العربية وترعرعت بين أحضان الرافدين وأطراف الشام.

٢. إنَّ الإعراب المتمثل بالتنوين والتمييم من أقدم الظواهر في اللغات السامية، ويعودان إلى الأصل نفسه، وقد أنجبهما الرحم السامي نفسه، وإنَّ التنوين ظاهرة متجذرة في العربية الفصحى وليس متطورة عن التمييم، ووجود بعض الألفاظ في العربية الفصحى تتضح فيها ظاهرة التمييم لا يعني أنّ التنوين متطور عن التمييم، ذلك أنَّ هذه الألفاظ من القلة بحيث لا تشكل ركيزة يمكن الاعتماد عليها في تقرير حقيقة الانتقال الصوتي من التمييم الى التنوين، فضلاً عن أنَّ العربية الفصحى لغة متجذرة في القدم، وهي متطورة عن أصل قديم يضارع الأكديّة أو هو أقدم منها، ومن الطبيعي أنْ تتعرض هذه اللغة إلى التأثر والتأثير، وهذا ما جعل تراثها غزيراً متضمناً لكثير من الظواهر اللغوية ومن بينها ظاهرة التمييم.

٣. إنَّ التطور الصوتي في اللغات – عادة -لا يكون اعتباطاً، وإنّما يأتي لدواعٍ صوتية، ولا توجد -في العربية الفصحى-دواعٍ صوتية تستوجب الانتقال الصوتي من الميم إلى النون، أي من التمييم إلى التنوين، لإنَّ صوت الميم من الأصوات الشائعة الذي يتميز بمنطقه السهل ولا يحتاج إلى جهد عضلي كبير، وقد عدَّه علماء اللغة المحدثون من الأصوات المتوسطة أو ما يطلق عليها بـ (الأصوات المائعة).

٤. على الرغم من أنَّ الأكديّة تشبه العربية الفصحى من حيث احتفاظها بحركاتها الإعرابية الثلاث، وتتضح هذه الحركات كاملة في قانون حمورابي (١٧٩٢_١٧٥١ ق.م)، إلا إنَّ اللغة الأكديّة في عصورها المتأخرة بدأت تتجرد من علامات الإعراب وأخذت تميل نحو تبسط القواعد وعدم الالتزام بالضوابط اللغوية حتى عند التدوين، ومقابل ذلك نجد أنَّ العربية الفصحى احتفظت بحركاتها كاملة على أواخر الكلمات، وهذا ما جعل قسم من علماء اللغات يرون أنَّ العربية الفصحى أقدم اللغات السامية وذلك لبقاء عنصر الإعراب فيها.

٥. إنَّ التشابه الجزئي في القواعد والضمائر بين العربية والأكديّة فضلاً عن وجود بعض المفردات المشتركة بينهما، فهذه جاءت بحكم القربى والانتماء إلى أصل لغوي قديم مشترك (اللغة الأم)، وقد أجمع الباحثون على أنَّ صلات القرابة بين مجموعة اللغات السامية أقوى من الصلات التي توجد في المجموعات الأخرى وذلك بسبب وحدة مجالها الجغرافي.

٦. مثلما هناك متشابهات بين العربية والأكديّة يوجد أيضا اختلافات بينهما وخاصة في الجانب الصوتي، فالعربية الفصحى -مثلا-قد احتفظت بالأصوات الحلقية كاملة (الهمزة، والهاء، والحاء، والخاء، والعين، والغين)، وبالمقابل فإنَّ الأكديّة فقدت معظم هذه الأصوات ولم تبق إلا الهمزة والخاء، والشيء نفسه يقال عن مجموعة أصوات الإطباق (الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف)، فهي موجودة كاملة في العربية في حين أنَّ الأكديّة فقدت الضاد والظاء.

٧. إنَّ الأكديّة والعربية الفصحى ليستا (أصل وفرع) ولا (لغة وعاميتها)، بل هما لهجتان من لهجات اللغة الأم، وإنّهما قريبتان من بعضهما، وهناك نوع من الإتفاق بين الباحثين على أنّ العربية والأكديّة أقرب اللغات السامية إلى اللغة الأم، ولهذا قالوا إنّ وجود أية ظاهرة لغوية في الأكديّة والعربية دليل على كون هذه الظاهرة موروثة عن اللغة الأم.

Abstract
Akkadian Origin Theory Language study
By Hamed Kazem Abbas

The Akkadian language is one of the most important Semitic languages linguistically and culturally, and there is a section of researchers who believe that the Akkadian is (the gracious mother) of the group of Semitic languages, and from it the rest of the languages of this group branched off, and this research tried to shed light on this saying and explaining what it has and what it has.

The research has proven that Standard Arabic and Akkadian are neither (origin and branch) nor (language and colloquial), but rather they are two dialects of the mother tongue, and they are close to each other, The partial similarity between the two languages came by virtue of proximity and belonging to a common ancient linguistic origin (mother tongue). Just as there are similarities between the two languages, there are also differences, especially in the phonetic aspect.

المصادر والمراجع:

- خير ما نبدأ به القرآن الكريم.

١. إبراهيم أنيس(الدكتور): الأصوات اللغوية، الطبعة الخامسة، دار وهران للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.
٢. إبراهيم أنيس(الدكتور): في اللهجات العربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٣. إبراهيم السامرائي(الدكتور): التطور اللغوي التاريخي، الطبعة الثانية، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م.
٤. إبراهيم السامرائي (الدكتور): فقه اللغة المقارن، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
٥. إبراهيم مصطفى: أحياء النحو، مكتبة لسان العرب، القاهرة، ١٩٣٧م.
٦. أحمد سوسة (الدكتور): مفصل العرب واليهود في التاريخ، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.
٧. أميل بديع يعقوب(الدكتور): موسوعة النحو والصرف والإعراب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م.
٨. أ. ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، دار القلم، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م.
٩. برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م.
١٠. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ): فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق: د. يحيى مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م.
١١. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ): الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
١٢. جرجي زيدان: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مراجعة وتعليق: د. مراد كامل، الطبعة الثانية، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٢م.
١٣. ج. فندريس: اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م.
١٤. ابن جني، أبو الفتح عثمان(ت٣٩٢هـ): الخصائص، تحقيق: محمد عبد الحليم النجار، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠١م.
١٥. جواد علي(الدكتور): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مكتبة النهضة، بغداد، ودار العلم، بيروت، ١٩٧٣م.
١٦. أبو حاتم، سهل بن محمد السجستاني(ت٢٥٥هـ): فعلتُ وأفعلتُ، تحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، مطابع جامعة البصرة، ١٩٧٩م.

١٧. خالد إسماعيل(الدكتور): فقه لغات العاربة المقارن/ مسائل وآراء، مكتب البروج، أربد، ٢٠٠٠م.
١٨. خالد الأعظمي(الدكتور): البابلية الأم الرؤوم، بحث منشور ضمن كتاب: الواقع اللغوي العربي القديم، مجموعة من الباحثين، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٦م.
١٩. رابين: اللهجات العربية الغربية القديمة، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٦م.
٢٠. رمزي منير بعلبكي(الدكتور): فقه العربية المقارن/ دراسات في أصوات العربية وصرفها ونحوها على ضوء اللغات السامية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م.
٢١. رمضان عبد التواب(الدكتور): فصول في فقه العربية، الطبعة السادسة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٩م.
٢٢. رمضان عبد التواب(الدكتور): المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.
٢٣. ابن السراج، محمد بن سهل البغدادي(ت٣١٦هـ): الموجز في النحو، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥م.
٢٤. سعيد الغانمي: ينابيع اللغة الأولى/ مقدمة إلى الأدب العربي منذ أقدم عصوره حتى حقبة الحيرة التأسيسية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ٢٠٠٩م.
٢٥. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان(ت١٨٠هـ): الكتاب، المطبعة الأميرية، ببولاق، ١٣١٦ه.
٢٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت٩١١هـ): المزهر في علوم اللغة وانواعها، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٧. عامر سليمان(الدكتور): اللغة الأكدية (البابلية – الآشورية)، تاريخها وتدوينها وقواعدها، الطبعة الثانية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٥م.
٢٨. ابن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله(ت٧٦٩هـ): شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة العشرون، دار التراث، القاهرة، ١٩٨٠م.
٢٩. على ابن ابي طالب: نهج البلاغة/ خطب ووصايا وكلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، شرح: الشيخ محمد عبده، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٧م.
٣٠. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ): الصاحبي/ كتاب في فقه اللغة، تحقيق: الشيخ أحمد صقر، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٣١. الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت١٧٥هـ): كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت، منشورات وزارة الثقافة العراقية، ١٩٨٠م.
٣٢. كاصد ياسر الزيدي (الدكتور): فقه اللغة العربية، وزارة التعليم العالي، جامعة الموصل، ١٩٨٧م.
٣٣. ليوهان فاك: العربية/ دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥١م.
٣٤. محمد المختار العرباوي: تأصيل العربية في الواقع اللغوي العربي القديم، بحث منشور ضمن كتاب: الواقع اللغوي العربي القديم، بيت الحكمة، ٢٠٠٦م.
٣٥. محمود فهمي حجازي(الدكتور): علم اللغة العربية/ مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، دار غريب للطباعة، القاهرة، دون تاريخ.
٣٦. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ): لسان العرب، الطبعة الرابعة، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥م.
٣٧. مهدي حارث الغانمي: لغة قريش/ دراسة في اللغة والأداء، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٩م.
٣٨. ولاء صادق(الدكتور): دراسات لغوية بين العربية ولهجات شبه الجزيرة العربية، دار دجلة، عمان، الأردن، ٢٠١٧م.
٣٩. ابن يعيش النحوي، موفق الدين يعيش بن علي(ت٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، ١٩٨٨م.